كتاب الشباب

الله أكبر - جثة في بيت الدكتور فكري
شوارتزنيغر الثالث - متاهة الشعراء



أحمد عبد السلام البقالي

مجموعة قصص

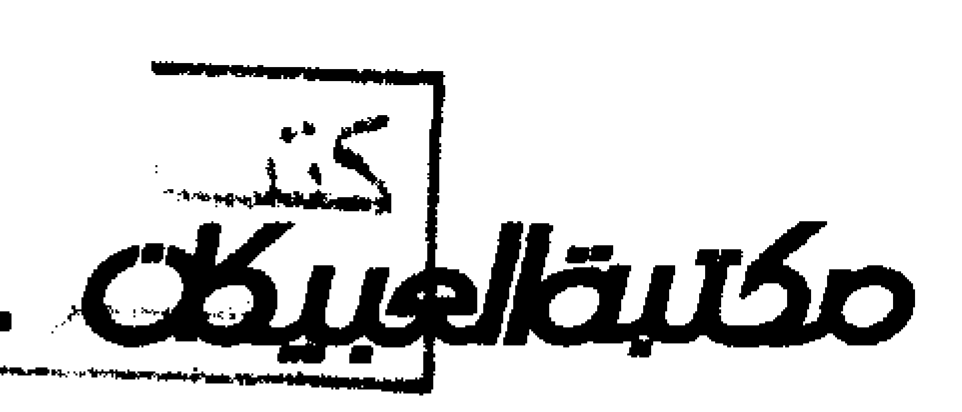
مكتبة العبيكان

مجموعة قصص :

- الله أكبر
- جثة في بيت الدكتور فكري
- شْوَارْتْزْنِيغِر الثالث
- متاهة الشعراء

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي



ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي، أحمد عبدالسلام

الله أكبر، جثة في بيت الدكتور فكري، شوارتزنيغر الثالث، متاهة الشعراء - الرياض

٤٣ ص، ١٤X٢١سم

ردمك: ٢-٢١-٠-٤٠-٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٢/١٨٣٠

رقم الإيداع: ٢٢/١٨٣٠ ردمك: ٢-٢١-٠-٤٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



الله أكبر

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

خـرجَ لَه الرجلُ الأشـعثُ من وَرَاءِ صَـخْـرةٍ. رآهُ الحـاجُّ عبدُالباقي من بَعيدٍ، فنزلَتْ في قَلبِه نقطةٌ سوداءُ. ونظرَ حوَالَيْه وخَلْفَه عَلى مَدِّ البَصَرِ فَلمْ يرَ أثرًا لإنسَانٍ.

كـانَ الحـاجُّ عَـبدُ البَـاقي يَمْـشي وحـدَه مـشيَـتَـه المسـائيَّـةَ الأُسبوعيةَ فوقَ هَذا الامتدَادِ الصخريِّ الأمْلَسِ الشَّبيهِ بِسَطْحِ القَمَرِ علَى شَاطئِ قَرْيةِ (الهرهورة) الأطلسيِّ المُجاوِرَةِ للرباط.

بماذا سيُدافعُ عَن نَفسِه إذَا قرَّر الرجلُ الأشْعَثُ مُهاجَمَتَه في هَذا المكَانِ المُقْفرِ المُوحِشِ؟

ونَدِمَ لأنهَّ لَم يصطحِبْ مِظلَّتَه في جَوْلَتِه هَذه، وتركَها في السيَّارةِ بعيداً وراءَهُ بينَ ديَارِ القَريةِ البيْضَاءِ. كـانَت السـماءُ زرقاءَ، ولا أثرَ لعَارِضٍ يُنْذِرُ بالمطَرِ.

كـانَتْ زوجتُـه المُحِبَّةُ العَطوفُ قَد نصـحَتْه وهي تُلبِسُهُ مِعْطَفَه وشالَه، بألاَّ يبتـعـدَ كـثيـراً عنِ العُمـرانِ، ولا يتـوغَّلَ كعادَتِه بين الصُّخُورِ، وألاَّ يخلَعَ المِعطَفَ؛ فجوُّ الخَريفِ يتقلَّبُ بسُرعَةٍ غَيْرِ متوقَّعةٍ.

وكـانَ هوَ يُنصِتُ إلى نصَـائحِـهـا دُونَ تَعليقٍ لِكَثْـرةِ مَـا سَمِعهَا.

ورنَّ صـوتُهـا في أُذُنِه في تَلكَ اللَّحْظةِ، وهوَ يرَى الرجلَ الأشعثَ قادمًا نحوَه، وقَد فاتَ الأوانُ لتدارُكِ المَوْقفِ.

كـانَ الحاجُّ عَبْدُ البَاقي يُحِبُّ الاختـلاءَ بنَفْسِـه في هَذا المكَانِ بالذَّاتِ لأنَّه غيرُ مَطْرُوقٍ كثيراً. لم يكُن يَرَى فيه إلا عـددًا قَليلاً جداً من الصيَّادينَ الهُواةِ المولَعين مثْله بالأمَاكنِ المهجُورَةِ. ولَم يكُن يراهُم بالضَّبطِ، كـانَ يرَى أقْصابَهم الطَّويلةَ من حين لآخَر وهيَ ترتفِعُ من خلفِ الجُرْفِ الصَّخريِّ الذي ينحـدِرُ رأسًا إلى البَحْرِ، وترتطِمُ علَيه أمواجُ المُحيطِ بحركَةٍ دَائبةٍ غاضبَةٍ صاخبَةٍ. كانَ يُحِسُّ في هَذا المكَانِ كأنَّه في جَزيرةِ (روبنسـون كْروزو) أو إحـدَى جُـزُرِ السِّندبادِ البحريِّ، فيشعرُ بفَرْحَةٍ صبيانيَّةٍ عَارمةٍ.

حتَّى أسرابُ النَوَارسِ الجَاثمـةِ، وكأنَّها جُمـوعُ المصلِّينَ تنتظِرُ الأذانَ، لَم تكُن تنزعِجُ لوجُودِه.

كانَ يحبُّ هذَا المكانَ المتوحِّشَ الجميلَ ويكْرَهُ اسمَه! فمَن يا تُرَى أطلقَ علَى هَذه القَـرْية النَّاعـمـة الجَـميلةِ اسمَ (الهرهورة)؟ لابدَّ أنَّهم بَدْوُ المنْطَقَةِ الذينَ استخلَصُوا التَّسْمية

من هَديرِ البَحْرِ وارتطَامِه بالصُّخُورِ الذي يُشْبِهُ الانهيَارَ والهَريرَ.

كانَ الحاجُّ عبدُ البَاقي في حَوالَي الخَامسةِ والستِّين. تقاعَدَ من مَنصبِهِ السَّامي منذُ خَمسِ سنينَ، ولم يندمْ عَلى يَومٍ من أيَّام فَرَاغِهِ، فقَد ملأَهَا بالقرَاءةِ والأسْفَارِ والفُسَحِ وزيَارةِ الأبنَاءِ والأصدقَاءِ.

وكانَ يصطحِبُ معَه في جَوْلاتِه هَذهِ مُصْحفًا صغيرًا، يستعينُ به في استذْكَارِ ما نَسِيَه من آياتِ الذِّكْرِ الحَكيمِ الذي استظهَرَهَ في صبَاهُ. وكانَ يغتنمُ جَوْلاتِهِ هَذه ليقرأ بعضَ السُّورَ ترحُّمًا علَى أرْوَاحِ المَوْتى من أهْلِه وأصدقَائِه، وعلَى رَأسِهِم وَالدُه ووالدتُه.

* * *

ولأوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتهِ الطَّيِّبةِ الهَنيَّةِ يشعرُ الحاجُّ عبدُالبَاقي بخَطَرٍ حقيقيٍّ وبالخَوْفِ والهَلَعِ. ولَم يكُن ذلكَ منه وهمًا وتوجُّسًا؛ فقَد كانَ قَرأ في الصَّحافةِ، وسمِعَ من النَّاسِ في بدَاية الصَّيْفِ عن سفَّاحِ الشَّاطئ وأوصَافِهِ التي تنطبقُ تمامًا

علَى هذَا الرجُلِ الأشْعَثِ القَادمِ نحْوَه!

وما يزالُ يذكرُ ذلكَ المشهدَ الرهيبَ الذي حملَه معَه أياماً، وحلمَ به ليالِيَ طوالاً. كانَ عائداً من جَولَتِه الشَّاطئيَّةِ إِلى المَدينةِ، فرَأى في طَريقه عدداً من السيَّاراتِ واقفةً علَى جانبَيِ الطَّريقِ في ازدحَامٍ وفَوْضَى، وجمهوراً كبيراً من النَّاسِ ينظرونَ إِلى البَحْرِ من فَوْق الجُرْف الصخريِّ، فأوقفَ هو سيارَتَه، مدفوعًا بالفُضُولِ الطبيعيِّ، لينظرَ إلى مَا ينظرُ إليه النَّاسُ.

وشقَّ طريقَه إِلى حافَّةِ الجُرْف، ووقفَ يسألُ بعضَ الشَّبَابِ، فأَوْمَؤوا إِلى عرْضِ البَحرِ حيثُ كانَت جُثَّةُ الغَريقِ الشابِّ الذي أَلْقَى به السفَّاحُ إِلى البَحْرِ. لم تَكُنِ الجثةُ منتشرةً على وَجهِ المَاء كَمَا كان يتصورَّرُ الغَرْقَي، بَل لَم يكُن يبدُو منهَا إلا شَعَرُ الرَّأسِ الأسْودُ يعلُو ويخْتَفِي، ثُم يعودُ إِلى الظُّهورِ.

وأحسَّ أولاً برَهْبةٍ عَظيمةٍ، ثُم بحُزْنٍ شَديدٍ علَى الغَريقِ الشابِّ. وتصورَّرَ نفسَه أو أحدَ أبنَائه مكَانَه هُناك، بعيداً وحيداً لا يستطيعُ أحدٌ الوصولَ إِلَيْه؛ نظراً لارْتفاعِ الجُرْفِ عَن سَطحِ البَحرِ وضخامَةِ الأمْوَاجِ.

وداري شُعورَه أمامَ مَشْهَدِ المَوْتِ ورَهْبتِها، والْتَمَسَ العَزاءَ لحُزْنِه في أنَّ الغريقَ لَم يعُدْ يشعرُ بشَيْءٍ بالمرَّة، وأنَّه أصبحَ حُرّاً طليقًا يطفُو فوقَ سَطْحِ المَاءِ كخَشَبَةٍ عائمَة.

وعَلِمَ من الصَّحَافةِ أن الغريقَ كانَ ضحيةَ السَّفَّاحِ الأشعَثِ الذي يختَفي بين صُخُورِ الشَّاطئِ، بينَ الرِّباطِ والدَّارِ البَيْضَاء، وليس ضحيَّةَ حادثِ سُقُوطٍ، كمَا راجَ في البدَايةِ قبلَ أن ينتشلَ الجُثَّةَ رجالُ الوقَايةِ المدنيَّة.

وسافرَ بعدَ ذلكَ مباشرةً في فُسْحَةٍ إلى جبَالِ الأطلَسِ للاستمتَاع بجَوِ الغَابَة الصِّحيِّ، والهُروبِ من ازدحَامِ الشَّوَاطئِ واكتظَاظِ طُرُقِ السيَّاراتِ، ونسيَ موضوعَ الغَريقِ الشابِّ وسفَّاحِ الشَّواطئِ، الأشعَثَ المَخْبُولِ.

* * *

كُلُّ هذا أومضَ في ذهْنه في لَمْحِ البَصَرِ، وهو واقفٌ خائفٌ يترقَّبُ وصولَ السَّفَّاحِ الأشْعَث إلَيه. وكانَ الرجلُ قَد اختفَى لحظةً وراءَ صَخْرةٍ ثُم عادَ إلى الظُّهور. وسوَّلَتْ للحاجِّ عَبْدِ البَاقي نفسُه أن يولِّيَه ظهرَهُ، ويعودَ من حيثُ أتَى. ولكنَّ

بقيةً من كَرَامةٍ وعزَّةِ نَفْسٍ منعَتْه من هَذا العَمَلِ الجَبَانِ، فوقفَ في مكَانِه ينظرُ إلى البَحْرِ، وإلى الأفُقِ الغربيِّ، ويسترِقُ النظرَ إلى الرَّجُلِ، وقد غطَّى وَجيبُ قَلْبِهِ على صَوْتِ اصْطخَابِ الأمْوَاجِ.

وحينَ لَمْ يبقَ بينَه وبينَ الرَّجُلِ إلا حَوالي مائَةِ مترٍ أَلْقَى الحاجُّ عبدُالبَاقي علَيه نظرةً مدقِّقةً، فإذَا هُوَ رجلٌ في وَسطِ العُمرِ، يَرْتَدي جلباباً صوفيّا بُنِّيًا باليًا، وينْتَعِلُ نعلاً قديمًا، ويحمِلُ هَراوةً ذاتَ رَأس مكوَّرٍ.

وتَشَهَّدَ الحاجُّ عبدُ البَاقي في سرِّهِ، وأخذَ يسألُ اللهَ المغفرةَ والنجاةَ. وجاءَه من بعيدٍ صَوْتُ المؤذِّنِ، وتذكَّرَ أنَّه مَا يزالُ على وُضُوءٍ، فنزلَتْ علَى قَلبِهِ المُؤْمِنِ بعضُ السَّكينةِ، وقرَّرَ أن يتوجَّهَ إلى اللَّه لأدَاءِ الفَريضةِ متجاهلاً اقترابَ السَّفَّاحِ والخوفَ من المَوْتِ، فقدْ عاشَ حياةً طيبةً راضيةً، وعَلَيْه أن يستسلمَ لقضَاءِ اللَّهِ الذي لا رادَّ لَه ولا مَفَرَّ منه.

ولكنَّه تردَّدَ قليلاً، ثُم صرفَ النظرَ عن فِكْرةِ الصَّلاةِ، لأنَّ شرْطاً أساسيًّا من شُروطِها لا يتوافَرُ، وهُو الخُشُوعُ.

ودقَّ قلبُـه، لا هلَعًا وخـوفًا هَذه المرةَ، ولكنْ غـضـبًا وثَوْرةً علَى هَذا السفَّاحِ الذي اغـتصبَ حـقًّا من حُـقُـوقِ اللَّهِ وحـدَه، وهُو أخْذُ أرْوَاحِ النَّاس!

وقـرَّرَ أن يُقـاوِمَ، أن يموتَ بدَمٍ سَـاخنٍ، رَغْمَ تقـدُّمِ سنِّه وضَعْفِ قَلْبِه وتفوُّقِ خَصْمِه علَيه.

وبحثَ حَوَالَيْه عن أحْجَارٍ في حَجْمِ يَدِه ليواجِهَ بهَا عدوَّه فرَأى حجرَيْن غيرَ بعيدَيْن. وخطَا نحَوهُما بخُطًى ثابتَةٍ ووقفَ يراقِبُ تحـرُّكـاتِ السـفَّـاحِ، وقَـد بلغ تـوتُّرُ أعْـصَـابه مـدَاه، وبدَأَ يُحِسُّ بانبعَاثِ غَريزَةِ الحيوَانِ الجَريحِ فيه.

وحين لَـم يبقَ بَينَ الرَّجُلَيْنْ إلا مَـرْمَى حَـجَـرٍ حـدثَ شيءٌ غريبٌ لَمْ يكُـن الحاجُّ عبدُ البَاقي يتوقَّعُه، فقَـد انحرفَ الرجلُ الأشـعثُ عَن طَريقِـه، وهُوَ ينظرُ إلى الأرْضِ وكـأنَّه يبـحـثُ عَن شَيْء، حـتى توقَّفَ عندَ بُقْعَة نظيـفَـةٍ ملسَـاءَ، فـوضَعَ الـهَـراوةَ، وخـرجَ من نعْلَيْهِ، واستـقبلَ القِبلةَ، وأخذَ يُردِّدُ الأذانَ بصَوتٍ خَفيض.

وهنَا ارتـخَتْ أعـصُابُ الحـاجِّ عبدِ البَاقي، وتنهَّدَ بعُمْقٍ،

وأخذَ يحَمدُ اللهَ ويستغفِرُه لسُوءِ ظنِّه بالرَّجُلِ.

وسارعَ إلى حيثُ وقفَ الرجلُ، فنزعَ حذاءَه ووقفَ إلى جَانبه. وكانَ الرجُل قد كبَّر وأخذَ يتلُو الفاتحِةَ، فرفعَ الحاجُّ عبدُ البَاقي يدَيْه مكبراً: «اللهُ أكبَرُ!»



جثة في بيت الدكتور فكري

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

الدكتورُ فكْرِي أستاذٌ ضيفٌ في بلدٍ عربيٍّ. وهو كأغْلَبِ أهلِ بلدهِ خفيفُ الظِّلِّ، بَشوشٌ جَمٌّ الأدبِ، حاضرُ البديهةِ، بارعُ النكتة. لا تكادُ تلقاه إلا ويُتْحِفُكَ بنُكتةٍ لطيفةٍ أو قَفْشَةٍ ظريفةٍ أو حكايةٍ طريفةٍ، ولو على نفسِهِ! كان يحبُّ أن يحكيَ ما يقعُ فيه من مقالبَ من جرَّاءِ اختلافِ العاداتِ والتقاليدِ واللهجاتِ بين بلَدِهِ الأصلي والبلد المضيف.

كان الأستاذ فكري أعزبَ، يعيشُ في شُقَّةٍ وحدَه، وله خادمةٌ عجوزٌ سوداءُ تُدْعَى «دادة مبروكة» تقومُ بشؤونهِ اليوميةِ. ولكنَّ مظهرَه كان يبدو دائمًا في حاجَةٍ إلى إصلاحٍ، الأمرُ الذي كان يثيرُ شَفَقَةَ الناسِ عليه، خاصَّةً النساءَ. قمصانُه لم تكن مكويةً كما يجبُ، وبذْلُهُ لم تَرَ التنظيفَ على الناشفِ منذ أن اشتراها، فكانت تَبْدُو وكأنه ينامُ فيها.

وكان هو يُحِسُّ بذلك وسَطَ مجْتَمَعِه الجامعيِّ الأنيقِ، ويُعاني الحرَجَ والارْتباكَ. فأخذ يَرْتَدِي مِعْطَفًا خفيفًا فوق بِذْلَتِهِ صيفًا وشتاءً. وسأله صديقٌ له مرةً:

– لماذا تلبسُ المعطفَ، يا دكتور؟

– حتى لا أصابَ ببردٍ.

– ولكن الدُّنيا حَرٌّ!

– وماذا؟ هل سمعتَ بأحدٍ أُصِيبَ بِحَرٍّ!؟

كان مردَّ إهمالِهِ مظهرَه الخارجيَّ خادمهُ العجوزُ التي صارت، بعد أن تقدَّم بها السنُّ، تكتفِي بالحدِّ الأدْنَي من الضروري، لتوفيرِ طاقَتِها. ولم تكن تُعْنَى بمظهرِه لضُعْفِ بصرِها في السنواتِ الأخيرةِ، فلم تكن ترى فيه ما يتطلَّبُ عنايتهَا.

وزاد الطينَ بلَّةً ما بدأ يظهَرُ عليها من أعراضِ النسيانِ والتخريفِ، بحيثُ أصبحت عِبْئًا عليه بَدَلاً من مُساعِدَةٍ له! ولكنَّه كان يُحِبُّها ويعطِفُ عليها. فقد عرفتْ دادة مبروكة، كما كانت تُحِبُّ أن تُدْعَى، أيامًا أجملَ في خدمةِ ناسٍ أماجد كبارٍ، وفي قصورٍ عريقةٍ انقلَبَ الزمانُ على أهلِها، وفرَّقت جمعَهُم الأيامُ!

وكانت مثلَهُ عازِبةً، بلا زوجٍ ولا أولادٍ. مات عنها زوجُها، وتبِعَه ابنُها الوحيدُ إلى دارِ البقاءِ، ولم يبقَ لها منهما إلا ذِكرى غامضةٌ بعيدة...

وذات يومٍ زار الدكتورَ فكريَّ صديقٌ له، فلاحظَ ماآلت إليه حالُه من تفريطٍ، وشُقَّتُهُ من وساخةٍ وإهمالٍ، فكلَّمَه في ذلك، فأَفْضَى إليه بما يُعانيه من خادِمِه العجوزِ التي كَبِرَتْ وتعبَت.

واقترح عليه الصديقُ أن يسْتَبدلَ بِهَا خادِمًا أصغَرَ سنًّا، فرفض الدكتورُ فكري، بدعوَى أنه عرَفَ المرأَةَ منذ مدَّةٍ طويلةٍ، وبأنها لا أهلَ لها إلاَّ ابنةُ أخْتٍ في بلدٍ آخرَ، لا تستطيعُ إيواءَها بصفةٍ دائمةٍ، لكثرةِ عيالِها وصُعوبةِ طبْعِ زوجِها وقلَّةِ ذاتِ يَدِهِ. ثم إنه ليس من الوفاءِ ولا المرُوءَةِ الاستغناءُ عن شخصٍ في أيامِ عجزِهِ، بعد أن خَدَمَكَ في أيَّامِ صحَّتِهِ!

واقترحَ الصديقُ أن يأتِيَه بخادِمٍ صغيرةٍ تساعِدُها، على أن تبقَى هي سيدةَ البيتِ. ووافقَ الدكتورُ فكري على الاقتراحِ، على أن تكونَ الخادمُ الجديدةُ ليِّنةَ الطبعِ، لتنْسجِمَ مع دادة مبروكة.

* * *

ويظهرُ أن دادة مبروكة لم تَسْمَعْ من الحديثِ إلا بعضَهُ لثِقْلِ سمْعِها، ففهمتْ أن مَخدومَها يريدُ الاستغْناءَ عنها...

وخرج الدكتورُ فكري إلى عملِه ذلك الظُّهْرَ، وحين عاد في المساء طرقَ البابَ فلم يفتحْ له أحدٌ، فاضْطُرَّ إلى استعمالِ المفتاحِ.

وحين فتح البابَ فُوجِئَ بدادة مبروكة ممدَّدَةً على زَربيَّةِ المدخلِ، جامدةً دون حراك! فصاح ذاهلاً:

- يا نهار أسود! يادي المصيبة!

أوَّلُ ما خطر ببالِهِ أنها فارقتِ الحياةَ، فانزعجَ انزِعاجًا شديدًا، لا لِموتِها فذلك متوقَّعٌ، ولكن لما سيُضْطَرُّ للقيام به من مراسيمِ الجِنازةِ والدفنِ وغيرِها من مطالبِ وإجْراءاتٍ مُعقدَةٍ، لا قِبَلَ له بها، ويجهَلُها تمامًا حتى في بلَدِه، فما بالُكَ في بلدٍ غريبٍ، خصوصًا وأنَّ وفاتَها جاءت فجأَةً، وفي وقتٍ غيرِ مناسبٍ بالمرةِ! فالسنةُ الدراسيةُ اقتربَتْ من نهايَتِها، والامتحاناتُ وما تقْتضيهِ من إشْرافٍ وتصحيحٍ واجتماعاتٍ أصبحت على الأبوابِ!

وفي غـمـرةِ غـمِّـهِ وحـسـرتِـه راوده الأملُ في أن تـكونَ دادة مبروكة مُغْمىً عليها أو نائمةً فقط. فانحنَى ووضع يدَه أمامَ أنفِها فهبَط قلبُه. لا أثَرَ للتنفُّس! وليتأكَّدَ، أمسكَ بيدِها فانفلَتَتْ من يدِه وسقطتْ هامِدةً! وعاد إلى الإمساكِ بها وجَسَّ رُسْغَها ليقيسَ نَبْضَها، فخفَقَ قلبهُ وداعبَهُ الأملُ. ما يزالُ هناك نبضٌ واهنٌ... إنَّها ما تزالُ على قيدِ الحياةِ!

واقتربَ من أُذُنِها وناداها بصوتٍ عالٍ فلم تستَجِبْ. وحرَّكَها لتُفيقَ دون جدْوَى. فقال في سِرِّهِ: «ما فيش فايدة! العجوزُ مُصِرَّةٌ على الموتِ!»

* * *

وقف يُفكِّرُ قليلاً، ثم قَرَّرَ الخروجَ إلى الشارعِ. فهو لا يُحْسِنُ التفكيرَ إلا ماشيًا في الشوارعِ والأزِقَّةِ الخاليةِ.

وقال لنفسِه وهو يُفكِّرُ في مَخْرَجٍ من مأْزَقِهِ: «إذا كنتُ أحمِلُ دكتوراه في الفلْسفةِ وعِلْمِ النفسِ وعلمِ الاجْتماعِ، ولا أستطيعُ حلَّ مشكلةٍ صغيرةٍ كهذه، فالأحسَنُ أن أُعيدَ شهاداتي للجامعةِ، وأتخَلَّى عن التدريسِ والمحاضَرةِ!»

وبعد مسيرةٍ طويلةٍ، خرج بفِكْرةٍ ساذَجَةٍ في مستوي تفكيرِ العجوزِ المُتَماوِتَةِ. ومرَّ على الصديقِ الذي اقترَحَ عليه الخادمَ الشابَّةَ، وحكى له ما حدثَ، وشرحَ له طريقةَ التخلُّصِ التي خَطَرَتْ لَهُ.

وغيَّر الصديقُ ملابِسَه، وارتدَى جلبابًا صُوفيًا خشنًا وتعمَّمَ، ودخلَ المطبخَ ووضعَ ساطوراً وعدداً من السكاكينِ الكبيرةِ والصغيرةِ في قُفَّةٍ، ورافَقَ الدكتورَ فكري إلي شُقَّتِه.

وفتح الدكتورُ بابَ الشقةِ آملاً أن يجدَ دادة مبروكة قد راجعت نفسَهَا، وفكَّرَت في سُخْفِ الُّلعْبةِ، وتراجعت عن ميْتَتِهَا ونهضت إلى عَمَلِها، فخاب أملُه! كانت ما تزالُ مُسْجَاةً على الزربيةِ وسَطَ الدارِ كما تركَهَا.

وهمَسَ في أُذُنِ صديقِه مُذكِّرًا له بأنْ يغيِّرَ صَوْتَه ليُناسِبَ مِهنةَ الجزَّارِ، فأخذ يتكلَّمُ بصوتٍ أَجشَّ لا يصدُرُ إلا عن جزَّارٍ ضخمٍ يملأُ الشحْمُ جوفَهُ...

وبدأ الدكتورُ فكري الكلامَ متصنِّعًا الحُزْنَ والألمَ: «هذه هي دادة مبروكة المسكينةُ التي قلتُ لك عنها. لقد عملَتْ

عندي مـدَّةً طويلةً بمنْتَـهَى الوفـاءِ والإخـلاصِ. وهي سـيـدةٌ لا أهلَ لهـا بالمرَّةِ، ولن يفـتـقِـدَها أحـدٌ. وقـد تُوفِّـيت فـجأةً، كـمـا ترى. وأنـا رجلٌ غـريبٌ في هذا البلدِ، ولا أريدُ مـشـاكلَ. ولا أحِبُّ أن تدورَ الشكُوكُ والشـائعـاتُ حـول اسْـمِي، ويبـدأ البوليسُ في التنقيبِ في حياتي وسينْ وجيمْ وما إلى ذلك... وأنا رجلٌ غلبانٌ، ولا أستطيعُ بدء حيـاتي مرةً أخرَي في بلدٍ آخـرَ. فـأرجـوكَ أن تفكِّرَ لي في حلٍّ، وتُخْـرِجَني من هذه الورْطَةِ، نجَّاكَ اللهُ من حسَرَاتِ الدنيا والآخِرَةِ!»

وتكلم الصديقُ بصوتِهِ الأَجَشِّ المستعارِ مسْتعمِلاً عباراتِ الجزَّارين، مُقَلِّبًا الجثة بيدٍ قويةٍ خبيرةٍ، وواصفًا له كيفَ سيُقَطِّعُ الهالكةَ أطرافًا وقِطعًا صغيرة يصعُبُ التعرُّفُ عليها، ويضَعُها في أكياسٍ من البلاستيك، ويَحْمِلُهَا في سيارَتِه إلى محرقَةِ المجزَرَةِ، حيثُ تأكُلُها النيرانُ. وأضـاف: «تعالَ احْمِلْ معي الشُّغْلَ إلى حوضِ الحمَّامِ حتى لا نُوسِّخَ وسَطَ الدارِ.»

وأخـذ يخلَعُ جِلبـابَه، ويسـمِّي اللهَ، ويُقَرقِعُ السكاكينَ وَيَشْحَذُ بعضَها في بعضٍ، فإذا العجوزُ تَئِنُّ وتتحَرَّكُ وتُفيقُ من

مَيْتَتِها بِقُدْرَةِ السميعِ العليمِ، وتَعْتَدِلُ جالسةً في مكانِها باكيةً مُعْلِنَةً توبَتَها، راجيةً الدكتورَ فكري أنْ يُسامِحَها. وساعَدَها الرجُلانِ على الوقوفِ والذهابِ إلى غُرفَتِها، حامدين اللهَ لها على السلامَةِ، وهي تُردِّدُ: «هكذا أصبحتُ مجرَّدَ «شُغْلٍ» لجزَّارٍ!»

وبعد أن سقَوْها كأسَ ماءٍ، شرَحَ لها الصديقُ بلهجة بَلَدِها ما يريدُهُ الدكتورُ فكري من الخادمِ الجديدةِ، وأَكَّدَ لها أنها لن تكونَ إلا مُساعِدةً لها. وستبقَى دادة مبروكة سيدةَ البيتِ إلى أن يأخُذَ صاحبُ الأمانةِ أمانَتَه!

وهدأتْ قليلاً، ثم انخَرَطَتْ في البُكاءِ مرَّةً أُخْرى، مُعاتبةً الدكتورَ على ما كان ينْوي أن يفْعَلَه بها، بعد موتِها، بدلَ أن يُقيمَ لها مَأْتَمًا ويدْفِنهَا دَفْنَ المسلمين مُعزَّزَةً مكرَّمَةً...

فضحِكَ الدكتورُ فكري، وقال لها: «انْظُرِي جيِّداً إلى وجْهِ الجزَّارِ!» ونظرتْ إليهِ، فتعرَّفَتْ عليه، وغَلَبَها الضحكُ: «أنت هو الجزَّارُ!؟ يالي من مُغَفَّلَةٍ!»

فقال الدكتور فكري: «أنتِ أعَزُّ علينا من عَيْنَيْنَا، يا دادة

مبروكة. ولكنَّني أردتُ أن أُبادِلَك مِقْلَبًا بمقلَبِ ومِزاحًا بمزاحٍ حتى لا تَعُودي لمثلِ هذهِ الأفاعِيلِ!»



شْوَارْتْزْنِيفِر الثالث

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

خرجَ بوعزَّةَ الضَّرَاوي من سينما كُوليزي مُنْتَفِخًا مزْهُوًّا بِطُولِه وعَرْضِ كتِفَيْهِ. كان في حَوالِي العِشْرينَ، شديدَ السُّمْرَةِ، يقُصُّ شعرَهُ الأكردَ الكَثَّ على شكْلِ طربوشٍ قصيرٍ، ويرتدِي على الجِلْدِ صدْرِيَّةً من قُماشِ الجينِ المزيَّنِ بالنُّحاسِ.

كان قد شاهدَ في السينما شريطًا عنيفًا مثيرًا من بطولة الممثِّلِ الألماني «شوارتْزنيغر» فبهرتْهُ حركاتُه وانقضاضاتُه على أعدائِه وإبادَتُه لقُطْعانٍ من الأشرارِ بنصْفِ دورةٍ من رشاشِهِ الأوتوماتيكي.

خرج بوعزةُ مُتَقمِّصًا شخصيَّةَ بطلِ الشاشةِ، مَسْكونًا بها، بحيثُ لم تَعُدْ له شخصيةٌ تُذْكَرُ! ومشى يختالُ على الرصيفِ، وينظرُ من فوقُ إلى جمهورِ السينما فيبدُو له مجرَّدَ ذُبابٍ يبعثُ على الاشمِئزازِ.

وضاق بالسيرِ بينهم وكأنَّهُ واحدٌ منهم، فنزل إلى طريقِ السياراتِ، غيرَ مُبالٍ بأَبْواقِها. ودخل طريقًا ذا اتجاهٍ واحدٍ، ومشَى متمايلاً يكاد يملؤُهَا وحدَهُ!

وسمِعَ بوقَ سيارةٍ وراءَه فلم يلْتَفِتْ ولم يَفْسَحِ الطريقَ.

ونبَّهَهُ سائقُ السيارةِ مرَّةً ثانيةً فلم يعبَأْ به. واقتربَ السائقُ بالسيارةِ الرياضيةِ الصغيرةِ حتى كاد يلْمَسُ ساقَيْ بوعزةَ من الخَلْفِ، ونفخَ البوقَ، فالتفتَ بوعزةُ نافخًا صدْرَهُ وذِراعَيه، ونظر إلى السائقِ القَمِئ صاحبِ النظَّارةِ الطبيةِ، وهو يكاد يختَفِي وراءَ عجَلةِ القيادَةِ، وضيَّقَ عينَيه، ووقف في مواجهَةِ السيارةِ مُشَبِّكَ الذراعين، وصاح في السائقِ: «مالك!؟»

فابتسمَ له السائقُ النحيلُ الذي كان أصغرَ منه سِنًّا، وحيَّاهُ بيده، مُلاطِفًا وطلب منه التنحِّي ليمُرَّ. فأشار بوعزةَ بأُصْبُعِه إليه ثم إلى صدْرِه، وقال: «أنت تأمُرُني أنا بالخروجِ من الطريقِ!؟»

فقال السائق: «لا يا أخي، حاشا لله! مَنْ أَنا حتَّى آمُرُك!؟ أنا فقط أرجوك أن تتفضَّل وتتكَرَّمَ بفَسْحِ الطريقِ لي للمرورِ، فورائي شُغْلٌ مستعْجَلٌ!»

وكانت آلةُ الدَّمارِ قد تحرَّكَتْ في داخلِ بوعزةَ وانتقَلَ به خيالُهُ إلى عالم «شوارتزنيغر» الأحمرِ العنيفِ، فلم يسمَعْ من كلام السائقِ إلا أن تفسَحَ لي الطريقَ، فانحنَى ورفَعَ السيارةَ

الصغيرةَ من المقدمةِ وتركها تسقُطُ، وهو يسُبُّ ويلْعنُ: « تشْتَرونَ هذه القصاديرَ وتظنُّونَ أنكم مَلَكْتُم الدنيا! »

وفوجِئَ السائقُ بموقفِ الشابِّ العنيفِ، فلم يَدْرِ هل يدوسُ البنزينَ ويزيلُه من طريقِهِ، أم يستعمِل معهُ الحيلَةَ. ولكِنَّ عنفَ بوعزةَ لم يترُكْ له اختياراً. فقد نفخَ هذا صدرَهُ، وأخذَ يرفعُ السيارةَ ويخبِطُها. وكلَّ مرةٍ يرفعُها أَعْلَى من السابقةِ حتى خافَ صاحبُها عليها من الانكسارِ، فأخذ ينفُخُ البوقَ ويصيحُ فيه: « ماذا تفعل!؟ »

وعدَّ بوعزةَ صيحةَ السائقِ إهانَةً له، فترك مُقَدِّمَةَ السيارةِ، وقصد السائقَ، وأمْسَكَ بمقْبَضِ البابِ. وهمَّ السائقُ بإقفالِه من الداخلِ، فوقَعَتْ أُصْبُعُهُ على مفتاح زجاجِ النافذةِ بَدَلَ زَرِّ إقفالِ البابِ وفتح بوعزةَ البابَ، وأمسكَ بتلابيبِ السائقِ وسحبَه إلى الخارجِ، ورفعَهُ من صَدْرِهِ في الهواءِ ليتساوَى وجهُهُ مع وجهِهِ، فتدَلْدَلَتْ ساقاهُ! وأخذَ بوعزةُ ينْبُحُ في وجْهِهِ، ويهدِّدُ بِقَضْمِ أَنْفِهِ: « هَهْ!؟ أَزُولُ من طريقِكَ!؟ أنا أزولُ من طريقِكَ أنت؟! »

وهنا تحوَّلَ السائقُ النحيلُ إلى حبْلٍ من حديدٍ، فَنَطَحَ بوعزةَ في وجْهِهِ نطْحةً قوية، فأطْلَقَ صَرْخةً عاليةً، وتَرَكَ الوَلَدَ وَوَضَعَ يدَهُ على عَيْنَيْهِ وهو يتألَّمُ ويكادُ يتميَّزُ من الغَيْظِ!

وحين زالت الغَشاوَة عن بَصَرِه، نظر أمَامَهُ فإذا السائقُ الهزيلُ ما يزال واقفًا ينظر إليه باسْتِرْخَاءٍ واستِخْفافٍ، ويداه على خِصْرِهِ النحيلِ.

ورفع بوعزةُ قبضتَه الضخمةَ وسدَّدَها إلى وجْهِ السائق الضَّئيلِ فأمسكَ هذا بها بُسْرعةٍ فائقةٍ، وسحَبَها بقُوةٍ نحو الأرضِ، ففقدَ بوعزةُ توازُنَه وسقط على وجهِهِ بشكلٍ مُضْحِكٍ.

وكان قد تجمَّعَ عددٌ كبيرٌ من المارَّةِ، أغلبُهم من الشبابِ الخارجِ من السينما، فأخذوا يصفِّقُون لحركاتِ السائِق المُتْقَنَة. واغتنم هو فُرصةَ انكبابِ بوعزةَ على وجهِهِ، وأخذ يرفُسُه بطريقةٍ احترافيةٍ، ويعيدُهُ إلى الانْبِطاحِ كلما حاوَلَ النهوضَ، بدونِ مجهودٍ تقريبًا.

وأطلَّ أحدُ الواصلينَ الجُدُدِ من بين المتفرِّجين، وسأل: «هل هو نفس "شوارتْزنيغرْ" الأمْسِ؟»

فجاءهَ الجوابُ: «لا، بل هو شوارتْزْنغر آخر! كل يوم يخرُجُ من السينما واحدٌ جديدٌ!»

ولَوَى السائقُ المنتصِرُ ذراعَ بوعزةَ خلْفَ ظهرِهِ، وانحنَى عليه يسألهُ: «والآن، يا شوارتزْنغْرْ التكْوين السريعِ، هل تزولُ من الطريقِ أو لا تزولُ؟»

ولم يتركْهُ حتى أخذَ يردِّدُ كَسِيراً مهزومًا: «بل أزولُ، يا سيدي، أنا أزول! ولَعَنَ اللهُ شوارتزينغر!»

وركبَ السائقُ سيارَتَه، وانطلَقَ يُحيِّي جماهيرَ المعجبين!



متاهة الشعراء

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

عَثَرْتُ على الصومعةِ الرُّخاميةِ بمحضِ المصادَفَةِ. كانت في شكلِ برجِ «بيزا» الإيطالي المائلِ، ولكنها ملساءُ ناعمةُ إلاَّ مِنْ بعضِ ما نُقِشَ عليها من نُقوشٍ بعددٍ من اللغاتِ، بما فيها العربيةُ.

كنتُ دون العشرين، وكنتُ في قافلةٍ من أهلِ مدينتنا الصغيرةِ «أصيلةَ» في طريقِنا إلى قِمَّةِ «جبلِ العَلَمِ» لزيارَةِ مُنْتَجَعِ «مولايَ عبدِ السلامِ بنِ المشيشِ» السياحي. وكنا نخترِقُ الغابةَ الكثيفةَ التي تغطِّي سَفْحَ الجبلِ الشاهقِ. وتوقَّفتِ القافلةُ للاستراحَةِ، فقد كان السفرُ بالدوابِّ وعلى الأقدامِ.

وكنت أُحِبُّ المغامرةَ وتفتِنُني الأماكنُ العذراءُ. فتركتُ القافلةَ، ودخلت الغابةَ، ومشيت في غيرِ طريقٍ بين أشجارِ الفلِّينِ المتشابِكَةِ، أَنْعرِجُ حيثما انفتَحَ مسلَكٌ أمامي، حتى أحسسْتُ أني وصلتُ قلْبَ الغابةِ البِكْرِ الذي لم يسْبِقْنِي إليه أحدٌ! ووقفتُ أُنْصِتُ إلى أصواتِ الغابةِ الحيَّةِ، وأجولُ ببصرِي بين أغصانِها المشابِكَةِ فوقي.

وحين أردتُ الرجوعَ، تشابهتْ عليَّ المسالِكُ، ووقفتُ

حـــائراً، أبحثُ عن طريقِ عـــودتي . لم أســتطعْ الاهتـــداءَ بالشـمسِ، فقـد كـان الوقتُ زوالاً، وسِـرْتُ على غـيـرِ هُدى، أبحثُ عن مُرتَفَعٍ أتسَلَّقُهُ إلى قِمَّةِ الجبلِ. ولكن الأرضَ تحتي كانت تزيدُ انبساطاً.

وبعد حوالَيِ الساعةِ من المشْي العَشْوائي، ومقاوَمَةِ الفزَعِ الذي كـان يمدُّ يدَه البـارِدةَ إلى قلبي، سـمِعتُ صـوتًا آدمـيًا أمامي، فتوجهتُ نحوَهُ. كان صاحِبهُ يراني ولا أراه. فقد كان يوجِّهُني إلى ناحيتهِ، كلما انحرفتُ عن الطريقِ.

وفجأةً، خرجتُ إلى ساحةٍ واسعةٍ خاليةٍ من الأشجارِ، وفي وسَطِها مِسَلَّةٌ ملساءُ عاليةٌ من الرُّخامِ الورْديِّ الفاتحِ، شبيهةٍ ببرج «بيزًا» المائل، إلا أنها كاملةُ الاستقامَةِ والاستِدَارَةِ، وعلى رأسِها قُبَّةٌ لامعةٌ.

ولم أرَ الرجلَ المعلَّقَ بها، إلاَّ حين ناداني باسْمي: «تعالَ، يا عبدَ السلامِ.» وزايلني الفزَعُ، واسْتأنسْتُ بوجُودِ شخصٍ يعرفُني، رغمَ أني لا أعْرِفُه. كان يقفُ على حواليَ نِصْفِ دَسْتةٍ من الآجُرِّ الأخضَرِ الكبيرِ، وهو عارٍ إلاَّ من سُتْرَةٍ صغيرةٍ.

كان مشغولاً بنقْشِ شيءٍ مَّا على الصخرةِ بإزميلٍ ومطرقَةٍ.

واقتربتُ منه، فكَفَّ عن الطَّرْقِ، كأنما ليسْتريحَ، والْتَفَتَ إليَّ. كان في حواليَ الثلاثين، وله وجهٌ جميلٌ مستديرٌ، وعينانِ صغيرتانِ زرقاوانِ، وفوق فَمِهِ الصغيرِ شاربٌ هِتْلري، كان موضةَ ذلك العَصْرِ. وسلَّمتُ عليه، فرحَّبَ بي، واعتذرَ لي عن عدم قُدْرتِهِ على النزولِ. ونظرتُ إلى ما كان ينقُشُ، فإذا هي حُرُوف الأَلِفِ والباءِ والراءِ. فسألتُهُ، وقدِ استبدَّ بِي الفُضولُ:

– هل تسمح لي بمعرفة ما تنقشون؟

– أَنقُشُ اسمِي، أنا إبراهيمُ الإلْغيُّ.

فسرَى اسْمُهُ في جسْمِي كتيَّارٍ دافئٍ، وصِحْتُ سَائلاً:

– الشاعرُ الكبيرُ، سيدي إبراهيمُ الإلْغِي؟!

فرد مبتسِماً:

– بل الشاعرُ الصغيرُ، خادِمُكُم المتواضِعُ!

– بالعكس! أنتم أشعَرُ شعراءِ شمالِ المغربِ، بدون مُنازِعٍ!

– لو كنتُ شاعراً عظيماً، كَما قلتَ، لكان اسْمِي على

قُبَّةِ الصخرةِ، وليس هنا، تحت حِزامِها.

– وما يمنُعكَ من نقْشِهِ هناك؟

فنظر إلى موطئِ قدمَيْه، وأجاب:

– الآجُرُّ الأخْضَرُ، فليسَ لي منه إلا ما تَرَى!

– وما يمنعُكَ من وضعِ آجُرٍّ أكثرَ تصِلُ به إلى القِمَّةِ؟

فابتسمَ صابراً وقال:

– ستعْرِفُ ذلك، في وقتِهِ. أما الآنَ، فأْتِ بآجُرِّكَ، وتعالَ لتنقُشَ اسمَك، أنتَ كذلك.

– أنا؟! أنا أنقُشُ اسمِي إلى جانبِ اسمِك؟!

– لا تسْتَكْثِرْ ذلكَ على نفسِك؛ فأهْلُ الصخرةِ أدرَى بأسْرارِها. ألَمْ تَهِمْ على وجْهِكَ في الغابةِ؟

– بلى، ولكِنْ، ما علاقةُ ذلك بِنَقْشِ اسْمي على الصخرةِ؟

– لا أنت، ولا أنا، ولا الذين سَبقُونا إلى هُنا، دخلوا الغابةَ إلا حين سمِعوا النداءَ. وكان يُمكِنُ أن تَظَلَّ بقية عُمُرِك تائهاً، دون أن تصِلَ إلى ساحةِ الصخرةِ. وكان يمكِنُ أن تصلَ إلى الساحةِ ولا ترى الصخرةَ!

وكنت حديثَ العهدِ بالفوْزِ بجائزةٍ في مباراةٍ شعريةٍ وطنيةٍ، فكنتُ مُنْتَفِخًا كالطاوُس، ولا تسَعُني الدنيا بما رَحُبَتْ!

وجذبني كلامُه، فوقفتُ أُنصِتُ إليه بفمٍ نصفِ مفتوحٍ. ولم أُطْبِقْ فَمي، حتى أَمَرني أن آتيَ بآجُرِّي، وأَصْعَدَ إلى مكاني من الصخرةِ، لأنقشَ اسْمي، قبلَ نُزُولِ الليل.

والتفتُّ إلى حيثُ أشارَ، فرأيتُ ثلاثَ آجُرَّاتٍ خضراءَ كبيرةٍ منقوشٌ عليها اسْمي، وفوقَها مِطْرَقَةٌ وإزميلٌ. فنقلتُها إلى جانبِه، وصعِدْتُ عليها، وبَدأْتُ أطقطِقُ. ونظرت إلى فوق، فإذا عددٌ من أسماءِ الشعراءِ أعرِفُ بعضَهم وأجَهلُ البعضَ الآخرَ. وكلما رفعتُ بصري كانت الأسماءُ تزيدُ ضخامةً ولمعانًا وشُهرةً.

وأحسستُ بحرارةٍ مفاجئةٍ، وبالعَرَقِ يتصبَّبُ على سائرِ جِسْمي. فنزلتُ ونزعت ملابسي الفوقيةِ، ثم عدتُ إلي النقشِ، وفهِمتُ لماذا كان الشاعرُ الإلغي نصفَ عارٍ.

وأتمَّ هو نقشَ اسمِه قَبْلي، وقفزَ إلى الأرْضِ، وراح يرتدي

ملابسَه على عَجَلٍ، وقال لي: «أرجو أن نتقابلَ في يوم ما على القِمَّةِ!»

وودَّعني واختفَى.

وكنتُ مشغولاً بنقشِ اسمي على الصومعَةِ، وقد انصَبَّ اهتمامي على تكبيرِ الحروفِ وتعْميقِها، فلم أَنزِلْ لوداعِهِ، ولا لسؤالِهِ كيف أعودُ إلى الطريقِ العامِّ.

ولم أُفِقْ من استغْراقي حتى حَفَرْتُ آخرَ حَرْفٍ، ونظرتُ إلى الاسم بكثيرٍ من الفخرِ والغُرورِ. ونزلت لأنظُرَ إليه من الأرضِ، فلاحظتُ أن آجُرَّاتِ الشاعرِ الكبيرِ ما تزالُ في مكانِها. فوَسْوَسَ لي الشيطانُ أن أُضيفَها إلى آجُرَّاتي الثلاثِ المتواضعةِ، وأكتبُ اسمي في مكانٍ أرفعَ فوقَ حزامِ الصخرةِ.

ونظرتُ حولي فلم أَرَ أحداً، فمشيتُ إلى آجُرَّاتي ورفعت إحداها لأضعَها فوقَ آجُرِّ الشاعرِ الكبيرِ. ولم أكَدْ أضعُها، حتى اختفَتْ الآجُرَّاتُ السِّتُّ من تحتِها، ووقعتْ على الأرضِ وانكسرتْ إربًا صغيرةً يستحيلُ جبْرُها!

وباختفاءِ الآجرَّاتِ الستِّ، عاد الفزعُ الباردُ إلى قلبي،

ووجدتُ نفسِي هائمًا على وجُهي في الغابةِ، مرةً أخرى. ولم أتوقّفْ إلا عند نارِ بعض الحطابين، فدلوني على الطريقِ.

* * *

ومرتْ أربعونَ سنةً قبلَ عودَتي، مرةً أخرى، إلى جبلِ العَلَمِ.

وكنتُ هذه المرة راكبًا سيارةً جديدةً. وما إنْ وصلْتُ إلى المكانِ الذي كنتُ خرجتُ منه عن الطريقِ، حتى توقفتْ بي السيارةُ وحْدَها، دون سببٍ واضحٍ. وفحصتُ جميعَ المؤشِّراتِ، لعلِّني أعثُرُ على سببِ التوقُّفِ، فلم أجِدْ شيئًا، وأَشْعلتُ ضوءَ الطوارِئِ، ووقفتُ أنْتَظِرُ مرورَ سيارة.

وكان الصَّمْتُ مطلقًا، فترامت إلى سمْعي، من داخلِ الغابةِ، أصواتٌ بعيدةٌ لم أستطعْ تمييزَها. وأقفلتُ السيارةَ، ودخلتُ الغابةَ، مُرْهِفًا سمْعي إلى الأصواتِ النائيةِ. وكُلَّما اقتربتُ، زادتِ الأصواتُ ارتفاعًا ووضوحًا. فقلت في نفسي، لعلَّها سوقٌ محلِّيةٌ في مكانٍ قريبِ داخلَ الغابةِ، قد توجَدُ به ورشةُ ميكانيكي.

ولم يخطُرْ على بالي ضَلالي القديمُ بنفسِ الغابةِ. وإلا ما كنتُ تجرَّأتُ على الدخولِ. وفجأةً، وجدتُ نفسي في الساحةِ القديمةِ. وإذا المِسَلَّةُ الرخاميةُ الملساءُ ما تزالُ كما كانت في مكانِها شامخةً ورديةَ اللونِ. إلاَّ أنني، هذه المرة، فوجِئتُ بعشراتِ الأولادِ والبناتِ، يحاولون نقشَ أسمائِهم عليها، ويتسلق بعضُهُم أَكْتافَ بعضٍ، وهُمْ يتخاصَمون ويتشاتَمون ويتلاكَمون ويتشابكون بالأيدي ويتَرافَسُون بالأقدامِ ويتعاركون بعُنفٍ وقَسْوةٍ، كسِربٍ مُتَوحِّشٍ من القِرَدَةِ، وأزاميلُهم تَنْزَلِقُ على الصخرةِ، دون أن تتركَ عليها أثراً يُذْكَرُ!

وتأمَّلْتُ الرهْطَ المتنافسَ المُتطاحِنَ، فإذا هُمْ ليسوا أطفالاً بالمرَّةِ، بل رجالٌ ونساءٌ أقزامٌ قِصارٌ، ذوو ملامِحَ مَنغوليِّةٍ. ولاحظتُ من بينهم رجالاً طِوالا مُكْتَمِلي الأجسامِ، يحاولون الصُّعودَ على رِزَمِ آجُرِّهم، فيجتَمِعُ عليهم الأقزامُ، ويقفزون فوقَ ظهُورِهم، ويحاولون الوقوفَ على أكتافِهم للوصولِ إلى مكانٍ أعْلَى من الصخرةِ، فيأتي منهم من يُمسِكُ بسيقانِهم، ويغرزُ فيها أسنانَه، أو يسحَبُهُم إلى الأرضِ، ويشْتبكُ معهم

في عِراكٍ كعراكِ الكلابِ أو أشدَّ ضراوةً، ويرتفعُ الهريرُ والنهيقُ والنباحُ وقهقهةُ الضِّباعِ وشخيرُ الخنازير!

ونجحَ أحدُ كبارِ الرجالِ في التخلُّص من الأقزامِ، والصعودِ فوقَ آجُرَّاتِهِ العشرينَ، وقد علَّقَ مِطرَقَتَهُ وإزْميلَهُ بحبلٍ في عُنُقِهِ. وما كاد يبدأُ النقشَ حتى اجتَمَع الأقزامُ عليه، وصعِدَ بعضُهم على أكتافِ البعضِ، إلى أن وصلوا إليه، وأمسكَ أحدُهم بساقِهِ، وأخذ يَدغْدِغُ أخمَصَ رِجْلِهِ بأظافره، فأخذ يصيحُ، وفقدَ التوازُنَ، وراح يُلوِّحُ بذراعَيْهِ ليحتَفِظَ بموقِفِهِ، وهُمْ يتضاحكون! وسقطتِ المطرقة على بَنَانِهِ، فرفع قدمَه وهوَى على الأرْضِ فاقدَ الوعي!

وتراجعْتُ أنا، خشيةَ أن يرونْي. ولكنَّ حركتي لَفَتَتْ انتباهَهُم، فتوجَّهوا نحْوي، وهم يصيحون باسْمي فَوَلَّيْتُهُم الأدبارَ، وانطلقُوا هم في أَثَري ككلاب الصيدِ، مكشرين عن أنيابِهم الظامئةِ إلى دَمي! ولم أشعُرْ إلا وأنا داخِلَ سيارتي.

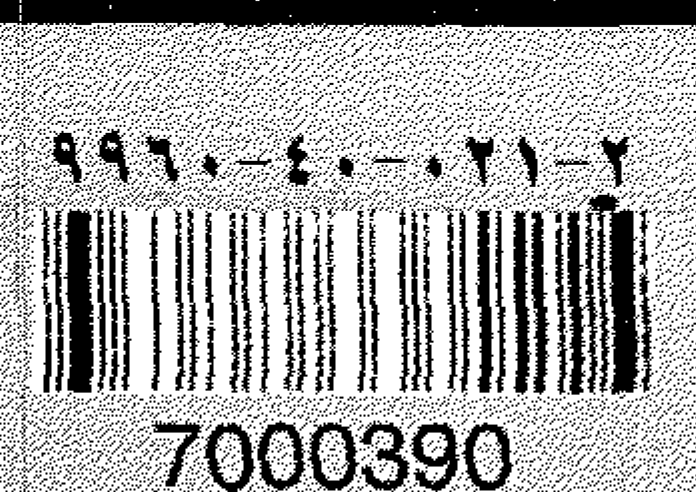
وبمجرَّدِ ما أدرتُ مفتاحَها، قام المحَرِكُ وانطلقتْ بي صاعِدَةً الجبلَ، وأنا أحمدُ اللهَ، وأستعيذُ به مِن شَرِّ ما خَلَقَ!

هذه السلسلة



تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبد السلام البقالي ، الحاصل على جائزة « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » .

وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس ، وخياله الخصب ، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى ، ومن عالم إلى آخر ، يقرب ... ث
الماضي البعيد ، ويلقي الأضواء على عوال...
بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاض...
فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية ا... ة
الحديثة للشباب في العالم العربي .


٩٩٦٠-٤٠-٠٢١-٢
7000390

العبيكان
Obeikan
Printing & Packaging